مُقدّمة

لم تحظ كلمة مثلما حظيت كلمة (المخابرات) بالكثير من المعانى والآراء المتباينة حول مدلولاتها وهالة الغموض التى تحيط بأهدافها، وانتمائها لعالم المجهول لدى الكثيرين. فيكون التساؤل - ما هى المخابرات؟

ومما يزيد من الاختلاف حول معانيها وأهدافها التطور التكنولوجى الهائل الذى تحققه الإنسانية يومًا بعد يوم، والأقمار الصناعية التى تدور فى مداراتها حول الأرض سعيا وراء المعلومات عن كل شىء سواء فى الفضاء الخارجى أم على سطح الأرض أم فى قاع المحيطات، ترصد وترسل لمراكز المعلومات ذات التقنيات الفائقة فى نفس اللحظة، لتقوم هذه المراكز بدورها بتحليل المعلومات وتعلن ما تريد والباقى يذهب إلى عالم الأسرار الذى هو (المخابرات)، فأضيفت بالتالى أبعاد جديدة زادت من اتساع هذا العالم الغامض المزيد والمزيد، وأدى ذلك إلى انتشار المبالغات غير الواقعية حول إمكانيات المخابرات التى بلا حدود، وأصبحت شكلا من أشكال الحرب النفسية استخدمته الدول الكبرى والدول ذات الإمكانات الفائقة فى هذا المجال لإثارة الخوف فى شعوب ودول صغيرة قد تكون ذات سياسة متعارضة معها، وهكذا ظهر دور جديد للمخابرات كأداة للدبلوماسية والسياسة أحيانا، وأداة للقوة فى أغلب الأحيان خاصة فى عالم القطب الأوحد الذى نعيش فيه الآن.

وعلم المخابرات الحديث شأنه شأن باقى العلوم يعتمد على الملاحظة والاستقراء والدراسة والتحليل والتطوير والاستفادة من التجارب التاريخية، والتوسع فى الاستعانة بالتقنيات الحديثة، ولكنه يختلف عنها فى مهمته الصعبة، إذ إن مهمته تكمن فى قدرته على فهم الأحداث والوقائع، وتقدير الآراء، والقدرة على الاستنتاج وتحديد مناخ الخطر المحتمل، كل ذلك فى جدال متصل مع المواهب العقلية على الجانب الآخر ومع طبيعة كل مجتمع، وهكذا تختلف قدرات أجهزة المخابرات فى قدرتها على تكوين صورة صحيحة ودقيقة عن الآخرين مخترقة حصونهم العلمية والعقلية والضباب الناتج عن سلسلة طويلة من الخداع والدهاء من نتاج الذكاء البشرى الذى لا يعرف حدودًا.

ولا يختلف أحد على أننا نعيش الآن فى عصر المعلومات، وأن العالم فى المستقبل المنظور يتشكل طبقا لقدراته على المعرفة، وأن القوة سوف تكون مقصورة فقط على من يملك المعرفة. وهذه الحقيقة هى الوقود لحرب المعلومات المشتعلة فى أنحاء العالم بأكمله، تقودها بالطبع أجهزة المخابرات فى جميع الدول والتى لا تتوقف عن محاولات الاختراق المتبادلة للحصول على المعلومات، وهكذا وبدون توقف وبالتعديل الدائم لأشكال الاختراق تنشأ بالمثل أعمال المراوغة والخداع التى تصل أحيانا فى الكثير من الحالات إلى تدبير المؤامرات واختطاف واغتيال شخصيات وإثارة الفتن وإشعال الصراعات، وتفجير الحروب فى مناطق كثيرة من العالم.

وسوف يتناول هذا الكتاب إيضاح دور المخابرات والتعريف بالنظريات الأساسية لعلم المخابرات وسمات هذا العالم الغامض، ويحاول الإجابة عن السؤال: ما هى المخابرات وماذا تعمل؟ حتى يتمكن القارئ من التعرف على أجهزة المخابرات الأمريكية وإمكانياتها المتفوقة وبالتالى يصبح فشلها فى الإنذار بهجمات الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أمرًا مثيرًا للدهشة.

وسوف يتم تناول تلك الهجمات بالدراسة والتحليل للأبعاد الفنية لها، والتى كانت قد نُشرت للمؤلف فى إحدى المجلات الأمريكية المتخصصة فى شئون المخابرات، لما تثيره من شكوك وتساؤلات حول حقيقة منفذيها.